Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 32:1 (1996)

لؤلؤة أزربيجان وشاعر الإنسان

عماد الدين النسيمي

(٧٧١ - ٨٢٠هـ / ١٣٧٠ - ١٤١٧م)

عبدالفتاح رواس قلعه جي

وجازة تاريخية:

القرن الثامن الهجرى الذى ولد النسيمي في ربعه الأخير غني بالأحداث التاريخية، كانت فاتحته على يد أبي سعيد آخر الملوك المشهورين من سلالة جنكيز خان الإيلخانيين، وكانت خاتمته على يد فاتح مغولي آخر هو تيمور بن طرغاى، وقد تقلص الحكم المركزى فى بلاد فارس والعراق العربى بعد أبي سعيد حيث تعاقب على الحكم: أرباخان ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م، موسى خان ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م محمد خان ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م ساتي بيك خاتون أخت أبي سعيد ٧٣٩هـ - ١٣٣٩م، شاه جيهان تيمور، سليمان خان وتمزقت أوصال امبراطورية المغول بعد أبي سعيد فنشأت أربع دويلات: دولة آل كرت في هراة، دولة المربداريين في سبزوار،

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

دولة آل المظفر في شيراز حيث عاش شاعرهم حافظ الشيرازى، دولة الجلايريين في تبريز وبغداد، وكانت تبريز العاصمة الكبرى لأزربيجان وشمالي ايران، وكانت دولة الجلايريين هي الأهم بين الدول الأربع، تنسب الى قبيلة الجلايرلا أو الايلكانيين نسبة الى جدهم الأعلى ايلكاتويان[1]، ويعود تأسيسها الى حسن بزرك الذى كان يلعب بعرش المغول، فيولى من يشاء ويعزل من يشاء، وكانت أسرته الوارثة الحقيقية لملك الايلخانيين في شمالي وغربي ايران حتى بلاد الروم، وكان السلطان المغولي أبوسعيد قد نافس حسن بزرك على امرأته حتى اضطره الى تطليقها، ومن أجل ذلك أبعده عن تبريز والسلطانية ونصبه حاكما على بلاد الروم، وقد احتل حسن بغداد وجعلها عاصمة له الى جانب تبريز. بعدم جاء ابنه سلطان أويس وكانت أزربيجان آنذاك تحت حكم بيردى بيك، وفي سنة ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م استولى على جرجان، ثم خلفه ابنه السلطان حسين، وفي عهده اشتدت شوكة التركمان بقيادة بيرام خواجه وقره محمد، وفي سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م ثار عليه أخوه السلطان أحمد وقتله واستولى على الملك، وقد فر منه أخوه بايزيد الى السلطانية القاعدة الأزربيجانية، واستعان برئيس التركمان قره محمد لكنه انهزم أمام أخيه. وبدأت أقدام تيمور تطأ ايران، وسقطت شيراز عام ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م فخاف السلطان أحمد على نفسه وتحالف مع التركمان المعروفين باسم قره فويونلر، وفي سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م سار تيمور نحو بغداد وفتحها ففرّ السلطان أحمد الى كربلاء ثم الى

حلب، فاستقدمه السلطان برقوق الى مصر وأكرمه، واستطاع الجيش المصرى بمساعدة رئيس البدو نوير فتح بغداد وما بين النهرين وانتزاعها من تيمور، وعين عليها واليا السلطان أحمد، وبعد وفاة برقوق عام ٨٠١هـ - ١٣٩٨م استقل بها، ولكنه في عام ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م اضطر الى الهرب من وجه تيمور مع قره يوسف الى الأناضول والاحتماء بالسلطان العثماني بايزيد يلديرم.

السياسية الخارجية للسلطان أحمد كانت تقوم على استراتيجية ثابتة وهي التصدى لتيمور وأولاده من بعده، ومثله أيضا قره يوسف التركماني الذى استطاع أن يؤسس ملكا عريضا في أزربيجان لكن مصالح الحليفين اختلفت، وخرج السلطان أحمد عام ٨١٣هـ - ١٤٠٠م قاصدا فتح تبريز وكان عليها شاه محمد بن قره يوسف، واستطاع أن يهزمه، لكن قره يوسف انحدر من أزربيجان وألحق هزيمة بالسلطان محمد قرب تبريز، ثم اعتقله وقتله، واستمر النزاع بين التركمان الأزربيجان والملوك الجلايريين حتى عام ٨٢٥هـ - ١٤٢٢م حيث انتهت دولة الجلايريين بمقتل الحسين بن علاء الدين ابن السلطان أحمد ودخول العراق العربي تحت حكم التركمان. تلك هى وجازة للأحداث التى شهدتها المنطقه التى عاش فيها النسيمي المرحلة الأولى من حياته.

أما في حلب القاعدة الشمالية لدولة المماليك، ومنزل النسيمي حتى مصرعه فإن الأحداث كانت ساخنة، نجمل أهم هذه الأحداث منذ قبيل مقدم النسيمي وحتى بعيد مقتله في مايلي:

ـ في عام ٨٠٠هـ- ١٣٩٨م ولى نيابة حلب الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى الهذباني ثم تمرد على السلطان.

ـ في عام ٨٠١هـ - ١٣٩٩م ولّى السلطان برقوق نيابة حلب للأمير دمرداش المحمدى الخواصكي، وحصل أول تحرش عثماني بالمماليك، حيث استولى السلطان العثماني بايزيد على ملطية، وتقدمت طلائع قواته الى البستان للزحف على حلب.

ـ في عام ٨٠٢هـ - ١٤٠٠م وصلت طلائع جيش تيمور لنك الى نهر الساجور فتصدى لها دمرداش ودقماق نائب حماه، وانكسر دمرداش.

ـ في عام ٨٠٣هـ - ١٤٠١م احتل تيمور لنك حلب، وارتكب المجازر، وحرى حوار تاريخي بين تيمور لنك وعلماء حلب: محب الدين بن الشحنة، وكمال الدين بن العديم، وعلى بن خطيب الناصرية وهم مؤرخو حلب، والقاضي شرف الدين موسى الانصاري، وتكلم باسم تيمور وترجم له عبدالجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي السمرقندى، ثم رحل تيمور لنك عن حلب فى السنة نفسها.

ـ في عام ٨٠٤هـ - ١٤٠٢م تمرد دمرداش في حلب فقبض عليه دقماق وأرسله الى السلطان بالقاهرة.

ـ في عام ٨٠٦هـ - ١٤٠٣م ولي حلب علاء الدين أقبغا الجمالي الهذباني لكنه توفي بعد أربعين يوما ودفن بسوق الخيل، وعاد الى حلب نائبا السيفي دمرداش، وفي عهده استفحل أمر

التركمان في العمق وانطاكية ودركوش بقيادة فارس بن صاحب الباز، وتصدى لهم دمرداش لكنه انهزم، كما تمرد دمشوخجا التركماني نائب جعبر ونزل على قرى حلب ونهبها وارتكب المجازر لكنه انهزم أمام أمير العرب نعير بن جبار، وفي هذه السنة ضربت الزلازل حلب، فاجتمعت الفتن والزلازل.

- في عام ٨٠٧هـ - ١٤٠٤م هرب الأمير جكم من سجن القلعة بدمشق وملك حلب وقبض على دمرداش وعلى نائب القلعة، وقطع الخطبة عن السلطان الناصر برقوق.

- في عام ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م طرد نائب حلب وجماعة من التركمان الأمير جكم، وتولى نيابة حلب علان اليحياوى، لكن جكم عاد ثانية، فأثبته السلكان، واستطاع أن يهزم فارس الباز التركماني وأمير العرب.

- في عام ٨٠٩هـ - ١٤٠٦م عاد دمرداش نائبا لحلب، ثم خلفه جركس القاسمي، ثم عاد جكم ثالثة، وفر القاسمي واحتل جكم دمشق وتلقب بالملك العادل، لكنه هزم وقتل.

- في عام ٨١٠هـ -١٤٠٧م بقيت حلب بلا وال فأغرى ذلك باك التركماني من مرعش بمهاجمتها، وآزره حكام قلعة حلب، فاضطر الحلبيون أن يقاتلوا على الأسوار ومن في القلعة أيضا، وفي هذه السنة قدم تمربغا المشطوب واليا وخاض معارك ضد تركمان العمق بقيادة كردى باك.

- في عام ٨١١هـ - ١٤٠٨م عاد الى نيابة حلب دمرداش فأكمل بناء جامع الأطروش.

- في عام ٨١٢هـ - ١٤٠٩م تولى نيابة حلب شاهين بن عبدالله وقسمت سلطنة المماليك بين الملك المؤيد أبي نصر شيخ المحمودى بالقاهرة ونوروز في الشام، واستلم الخليفة المستعين سلطنة المماليك رسميا لكن سلطته كانت صورية والحكم الفعلي لشيخ.

- في عام ٨١٥هـ - ١٤١٢م تولى نيابة حلب دمرداش فدهمه نوروز فهرب منه وعين نوروز لنيابتها يشبك بن يزدمر.

- في عام ٨١٧هـ - ١٤١٤م أعلن شيخ نفسه سلطانا على المماليك وولى نيابة حلب اينال السيسلاني.

- في عام ٨١٨هـ قتل اينال في تمرده ضد السلطان وولى نيابة حلب أقباى الدوادار.

- في عام ٨٢٠هـ - ١٤١٥م تولى نيابة حلب فجقار القردمي، ثم سجنه السلطان شيخ وولى عليها غلامه يشبك اليوسفي في المدينة وولى نيابة القلعة شاهين الأعور، وفي هذا العام اعتقل عماد الدين النسيمي ثم قتل بأمر السلطان شيخ.

- في عام ٨٢١هـ - ١٤١٨م وصلت قوات قره يوسف التركماني ملك بغداد الى مشارف حلب مطارداً قره بك التركماني أمير الموصل، لكن طلائع قواته انهزمت أمام يشبك اليوسفي.

– في عام ٨٢٤هـ – ١٤٢١م توفي السلطان شيخ، وكان قد وصل حلب عام ٨٢٣هـ – ١٤٢٠م الأمير الطنبغا القرشي للدفاع عنها ضد قره يوسف، واثر وفاة شيخ حصلت معركة بين الطنبغا وبين نائب حلب يشبك اليوسفي انتهت بمقتل يشبك وقطع رأسه.

في غمرة هذه الأحداث المضطربة عاش النسيمي محاولا تأسيس القاعدة الضرورية لدعوته الحروفية بين الناس، حاملا حلم أستاذه في اقامة دولة الحروفيين كبديل للبنيان السياسي والاجتماعي النخر، وسواء أكان المماليك قد تنبهوا الى هذا الطموح الخطر أو لم يتنبهوا، فإن السلطان شيخ قضى على هذا الكلم بإعدام النسيمي الداعية الأول للحروفية، مكملا بذلك ما بدأه تيمور لنك حين أطاح برأس أستاذ الحروفية فضل الله الاسترابادى.

حياته والمؤثرات في ثقافته:

كانت "شروان" وهي مدينة تقع شمالي أزربيجان الإيرانية، مشهورة بتراثها الأدبي الفني، وكان لوقوعها في طريق الحرير الأثر في اشتهارها بصناعته وتجارته، وبخاصة مدينة "شاماخي" مسقط رأس النسيمي؛ وبحكم إزدهارها الإقتصادي، فقد كثرت فيها العمائر من قصور وخانات ومساجد. وكان التجار القادمون إليها لا يحملون بضائعهم فحسب، وإنما يحملون أيضاً ثقافاتهم المتنوعة.

في هذه المدينة التي تزخر بالعلماء والفقهاء والشعراء وتكثر فيها المساجد والمدارس التي تعقد فيها حلقات التدريس، وجد عماد

الدين النسيمي علي بن محمد أوغلي (٧٧٠-٨٢٠هـ. ق= ١٣٧٠-١٤٠٧م) المناخ الملائم لتحصيل ثقافة موسوعية، فقد تعمق في دراسة الفلسفة والفلك والمنطق والرياضيات وعلوم الطبيعة والعلوم الدينية.

وكان من الطبيعي أن يجيد إلى جانب لغته الأصلية التركية - الأزربيجانية، اللغة الفارسية، وهي لغة الثقافة والأدب واللغة الرسمية، وأن يجيد أيضاً ـ شأن النخبة المثقفة كلها ـ اللغة العربية، فهي لغة القرآن والعبادات، والتمكن منها ضرورى للإطلاع على كنوز المعارف الإسلامية المكتوبة بالعربية من فقه وحديث وشعر وفلسفة وعلوم.

ابتدأ النسيمي كتابة الشعر وهو يافع، ونأى منذ صباه عن مديح الملوك والأمراء، وكتب الشعر باللغات الثلاث، وتعتبر أشعاره في لغته الأصلية درّة الشعر الكلاسيكي الأزربيجاني. وبفضل شاعريته المتألقة ومكانته الأدبية المرموقة، استطاع أن يشق الطريق إلى ترسيخ الأزربيجانية كلغة إبداع، وقد ترك فيها ما يزيد على عشرة آلاف بيت من الشعر، ويضم شعره بالفارسية حوالي خمسة آلاف بيت، أما شعره بالعربية فقد ضاع ولم يصل منه إلاّ المقطوعات اليسيرة.

وقد ساهم في تكوين شخصيته الفكرية والثقافية جملة من المؤثرات هي:

١- التراث الثقافي الأزربيجاني العريق:

فقد أفاده اتصاله بالطبقات الشعبية، التعرف على ما تختزنه ذاكرتها من حكايات شعبية وأساطير وقصص تاريخية وأشعار. كما اطّلع على تقاليدها وعاداتها وأعرافها.

٢- التراث الثقافي الفارسي:

إذ لا بد لكل شاعر ينشأ في تلك الدائرة الثقافية من أن يطّلع ويتأثر بكبار شعرائها أمثال: فردوسي، الخيام، العطّار، نظامي، خاقاني، أنوري، جلال الدين الرومي، سعدي الشيرازي، وكانت أشعار معاصره ومتقدمه شاعر الغزل حافظ الشيرازى آنذاك واسعة الإنتشار.

٣- التراث الثقافي العربي، والديني الإسلامي:

فقد اطّلع النسيمي على نتاج كبار شعراء العربية، كأبي تمام والمتنبي وابن الرومي والمعري والبحتري وأبي نواس، وتأثربهم في صياغة صوره الفنية، كما اطّلع على الكتب العربية في الفلسفة وعلم الكلام والرياضيات، والتراث الديني الشيعي والعرفاني، وأمدّه اطّلاعه على كتب الحديث والفقه والتفسير بثقافة دينية متمكنة أعطته قوة الحجة والجدل.

٤- الحروفية: (١)

حيث شكل اعتناقه لها المنعطف الأكبر في حياته، وقد كرّس حياته من أجل الدعوة لها. وقد حدث هذا بعد التقائه بمؤسسها "فضل الله النعيمي الاسترابادي" في "شروان" وزواجه من ابنته

الصغرى. وراح النسيمي يتردد ما بين شروان وتبريز وبغداد لصالح الدعوة، ويلتقي برجالات الفكر فيها. وبعد مقتل أستاذه عام ١٣٩٤، غادر النسيمي إلى بلاد الروم ــ الأناضول ــ فلقي الاكرام من شعرائها. ثم اضطر إلى المغادرة بعد أن تعرض للسجن والملاحقة فدخل "مرعش" واتصل بأمراء الدولة الدلغادرية ولقى الحظوة لديهم، ثم غادرها إلى مدينة حلب.

لا نعلم بالضبط متى وصل إلى حلب، ونرجح أنه وصلها بعد رحيل تيمورلنك عنها، أي بعد عام ٨٠٣هـ = ١٤٠١م، وكان يأمل أن يجد في ظل دولة المماليك الأمن الذي يحتاجه لراحة نفسه ونشر دعوته، وفي حلب نزل ضيفاً على آل الخواجكي في حي المعقلية (الفرافرة حالياً)، واتخذ من مسجدهم في الحي والمقابل لقلعة حلب زاوية له يلتقي فيها بتلاميذه، والمسجد الآن يدعى باسمه "مسجد النسيمي"، واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن ادَّعى عليه ابن الشنقشي، ولذلك قصة هي أنه سمع أبياتاً يرددها أحد تلامذة النسيمي فادّعى عليه وحكم التلميذ بالإعدام، غير أن النسيمي حضر وأعاد نسبة الأبيات له. وألقى القبض على النسيمي وجرت محاكمته بحضور الأمير "بشبك اليوسفي" نائب السلطان المملوكي شيخ في حلب، وبالرغم من أن قضاة المذاهب الأربعة[٢] لم يحكموا على النسيمي، وان ابن الشنقشي سحب دعواه إلاّ أنه حضر المحاكمة

الشيخ شهاب الدين أحمد بن هلال فأفتى بقتله، ورفع الأمر إلى السلطان بمصر فجاء الأمر بقتله، كان يوم إعدام النسيمي يوماً مشهوداً، فقد تقاطر الناس من كل حدب وصوب، بين باك حزين، وعاذل شامت، وكان النسيمي قبيل وأثناء تنفيذ الحكم رابط الجأش، يستعين على ما به بنظم الأشعار وإنشادها، ومثلما كان يردّ على متهميه أثناء المحاكمة بتلفظه بالشهادتين، فإن أشعاره حين تنفيذ الحكم كانت في التوحيد. يقول الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر: "أخبرني بعض تلامذته، أنه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت، وكان ينظر إلى الذي بلغه ويتبسم.

في عام ٨٢٠هـ = ١٤١٧م لفظ النسيمي آخر أنفاسه أمام أسوار قلعة حلب، فانطوى بوفاته واحد من أكبر مفكري وفلاسفة القرن التاسع الهجري وعلم من أعلام الشعر الإنساني والعرفاني، وقد دفن في الزاوية التي كان يدرس فيها في حي الفرافرة تجاه خندق القلعة وبالقرب من حمام السلطان والمدرسة الإسماعيلية، وضريحه ما يزال يُزار إلى اليوم.

وفي ايلول عام ١٩٧٣م احتفل الشعب في أزربيجان، والإتحاد السوفيتي، ومجلس السلام العالمي، واليونيسكو بالذكرى المؤية السادسة لميلاد الشاعر والمفكر عماد الدين النسيمي.

الانســان في شعــر النسيمي

"اعلـم أيهـا الانسـان أن نعمة اللـه هي الانسـان
وأن سيّــد الكـون أيضــاً هــو الانســـــان
وأن ذروة الخلــق كلّـــه هــو الانســـــان
وأن مــالك الأرض والسمــوات هـو الانســان"

* * *

"اعلـم بأن كينـونتك هي التـــاج من سليــمان
اعــرف قدر نفســك، انّــه تــاج السلطـــان
والله قد جبــل جسمــك كمـا جبــل روحـــك
ولميــزان القضــاء سيختـــار الله هذا التـــاج"

بهذه الكلمات يؤكد النسيمي قيمة الانسان في عصر كـانت سنابك خيل الغزاة تطأ الانسان وتبني من جماجمه قبابا في الحروب[٣].

كـان عصـر الغـزو التيمـوري الهمجـي، وسـطوة المماليك وظلمهم ونزاعاتهم الدموية، وكان النسيمي الصوت المفرد في جلبة المعارك وصليل السيوف وظلم النفـوس، يدعـو الـى قدسية الانسـان واحترامه وصون حريته، مخاطبا اياه، "اعرف قدر نفسك فأنت سيد الكون، ووجودك هو الأهم والأعلى من السـلطان نفسـه، فـأنت تـاج السلطان، ومكانك فوق هامته، وانك تحمل من الأسـرار مـا يجعلـك القيمة الكبرى في العالم". وقد وجد النسيمي في الحروفية مايؤمن بـه

ويطمح الى اعلائه وتحقيقه، وجد فيها تقديس الانسان وتكريمه واعلاء شأنه ورفعه الى مرتبة الكائن الأعلى:

"حيث أن نهايتي هى الخلود، و بدايتي هى البداية
فأولاً وأولياً أنا الكائن الأعلى"

"حكمة الأحرف الاثنين والثلاثين كلّها
تتّحد بك ، اقسم بالله"

في عصر تكون فيه كل ألوان المعارضة السياسية الشعبية ممنوعة لاتجد النخبة الثقافية المخلصة من باب للمعارضة غير باب الدين، ولهذا فإن المذهب الحروفي الذى عمل النسيمي من أجل نشره في فارس والعراق وبلاد الروم، وكان داعيته الرسمي في بلاد الشام، لم يكن في جوهره نزعة تجديدية في الفلسفة والتصوف فحسب وانما كان أيضاً لونا من ألوان المعارضة السياسية تطمح الى تأسيس حكمها الذى "يملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا" ولهذا فان فكرة المهدية في جوهرها ليست دينية فحسب وإنما هي سياسية أيضاً، ونور الحق كما يرى النسيمي لابد آت:

"قلوبنا آنست نورا، وأجسادنا على جبل سيناء
زمن المسيح ـ المهدى، إمام الزمان ، آت"

وقد أعلن فضل الله مهديته وحدد لقيام ثورته ونجاحها ميقاتا معلوماً استخرجه من الأحرف والأعداد ودلالاتها، وقد رجحنا في دراستنا أن النسيمي فعل الشيئ نفسه في حلب بين خاصته، بعد أن استقل بالشام بعيدا عن على الأعلى داعي الحروفية

في بلاد الروم، حيث اختلفا هناك بسبب المنافسة على تزعم الحركة بعد مقتل فضل الله.

بسبب هذه الطموحات السياسية، وما كانت تهدف اليه من تثوير للإنسان المضطهد على مستغليه وظالميه، فقد تعرضت الى ملاحقة القوى السياسية العظمىٰ في شرق المتوسط آنذاك: دولة التتار، دولة بني عثمان، الدولة المملوكية، وقد تعرض النسيمي للملاحقة والسجن والتعذيب من هذه القوى، بينما وجد له أنصارا في الدولة الدلغادرية المتمردة في مرعش، وعند بعض رجالها مثل علي باك الذى كان على عداء دائم مع المماليك، ويرجح هذا الرأى هو امتناع قضاة المذاهب الأربعة في حلب عن إدانة النسيمي دينيا، الى أن جاء الأمر باعدامه من المؤيد شيخ سلطان المماليك في مصر والشام، ومعتمدا على فتوى مفردة لم يوافق عليها القضاة، نشك في أنها مهيّأة مسبقا، ولا يعجز السلاطين في كل عصر أن يعزّزوا قراراتهم بالفتاوى.

إذن من خلال العقيدة الدينية "الحروفية" تصدى النسيمي للدفاع عن الانسان، ومن أجله تعرض للأذى، وصونا لسلامة الدعوة في مجتمع متدين، حكامه وأهله يجلون الصوفيين ذوى الأسرار والمعارف، فقد حرص من الناحية السلوكية على إظهار هذا الجانب منه في حياته. وما كان لموقف النسيمي من الانسان أن يتسبب في مصيره هذا لولا أنه تجاوز كونه موقفا ذاتيا الى كونه موقف دعوة عامة، استخدم في سبيل نشرها شعره ومؤلفاته الفلسفية وعلاقاته

الاجتماعية، وكان الحكام من الذكاء أن أدركوا خطورة ما يدعو اليه من إيقاظ لوعي الانسان بقيمته البشرية والكونية بحيث يصبح الانسان موضوعا لذاته لاموضوعا تابعا للسلطة.

ان ايقاظ الجوهر الأعلى في الانسان (= بضعة روح الله فيه= كنز الله المخبوء فيه) يعنى تحريره الكامل من الحزن واليأس والخوف والعبودية، وتمرده على مستعبديه ومستغليه.

هذه الإعادة التكوينية في تنظيم العلاقة بين الانسان ونفسه، والانسان ومحيطه، والانسان وحاكمه، وصولا الى الانسان العاشق حريته، المدرك قيمته، هي موطن الخطر بالنسبة للسلطة الحاكمة.

"العاشق الذى يعيش في العالم الذى نقضى فيه عمرنا
في الحداد، هو الذى لايستطيع أن يتأمل هذا العالم
كنز الله الحقيقي المخبوء هو الانسان
خمرة الحكمة في كأس جمشيد هي الانسان"

النسيمي واحد من الشعراء العالميين الذين يرقون الى منزلة الشاعر الكوني، له عالمه الخاص الذى يحملنا اليه بسحر الروح والبيان، وعالمه هو الانسان، التزم بقضيته، وناضل من أجل حريته. وأعلى منزلته فمحبوبه الانسان الهي الصفات، وهو يجمع في خطابه الشعرى هذه الحدود، ومن أجل ما دعا اليه قدم حياته ثمنا.

كان مصطلح السلطة آنذاك في ادانة رجل الثقافة والفكر المعارض، وكل عصر له مصطلحاته، أنه يفتن الناس ويفسد عقائدهم.

فمن هو الانسان عند النسيمي؟

الانسان عند النسيمي هو النفس والجسد، الجوهر والصورة، الروح والمادة، وقتل الجسد مساو لقتل الروح:

"أنت ان تأملت، الروحُ والجسدُ غايةُ الكون وجوهره"

لهذا فإن دفاعه عن الجسد الانساني ضد التعذيب والقتل ملازم لدفاعه عن الروح الانسانية ضد الظلم في عصر تحاصر الانسان فيه قوى الظلم والتنكيل، لأن الانسان جوهرة الحياة، والجسد هو مرآة العقل الجميلة، وتحطيمها هو تحطيم للوجود الانساني:

"عميقا إمّا ذهبت في جوهر الصورة

فإنك ستعرف معنى الجوهر والصورة

إنك لاتقذف حجرا على مرآة العقل الجميلة

لأن تحطم هذه المرآة سيتبعه الكثير من المصائب"

واحترامه للصورة الانسانية يعود الى اعتباره اياها القيمة الجمالية العليا، فالانسان مرآة الجمال الكوني، والحفاظ عليه وتكريمه تكريم للجمال نفسه ولكلي الجمال لأن الاله يتراءى على وجه الانسان:

"أنت، انت الذى ترى في وجهك مادة الأزل

صورتك هي صورة الرحيم البديع"

ورغم أن الانسان جسد وروح فإن هذه الثنائية لاوجود لها، والانسان هو كائن أعلى فوق الجسد والروح، لأنهما معا لايسعانه:

"اعط الصورة حقّها، اقرّ بأن المضمون في الصورة، لأنني

أنا الجسد والروح، لكن الجسد والروح لايسعانني"

والنسيمي يخلع على الانسان كل الصفات الالهية، والانسان هو الأحرف الاثنان والثلاثون، فهو أوج الاكتمال:

"أنا الأحرف الاثنان والثلاثون، لارفيق لي ولا شبيه ولا بديل"

يتبين ذلك الانسان عندما يرفع القناع عن وجهه:

"لا اله الا نحن، نحن نتعرف ذلك دون ريب عندما نرفع القناع عن وجهنا".

والعبارة يجب أن لا تؤخذ بظاهرها وانما برموزها، لئلا نظلم النسيمي، فهو يريد إعلاء شأن الانسان بما فيه من روح الله، ولأن هذه البضعة سكنت الجسد فهذا الجسد مكرم أيضاً، وكان النسيمي يريد أن ينتهى الى أمر آخر، وهو معرفة الانسان، والدعوة الى المعرفة هي الأساس في ايقاظ وعي الانسان الجمالي لذاته، وهذه الدعوة تشتمل على وجوب معرفة الانسان لنفسه: "اعرف قدر نفسك"، وعلى معرفته للعالم، وأن ينفق الانسان عمره القصير في تحصيل العلوم والمعارف: "ما من زينة للانسان أفضل من المعرفة" والمعرفة هي السبيل الوحيد إلى القوة: ان من يسيطر على المعرفة هو القوى أيها الانسان" وقد دعا الانسان، وبخاصة من في يده الأمر الى أن يعرف الانسان ويدرسه ويقدره حق قدره:

"اذا لم تكن شيطانا أو شريرا فاعرف وادرس الانسان"

فالمعرفة الانسانية عند النسيمي هي معرفة الذات والعالم والغير، والمعرفة هي الكنز الذى يجب أن يبحث عنه الانسان:

"أنت، انت الذى يتعطش لاكتناز اللآلئ والذهب

اجهد ساعيا في سبيل المعرفة، انها ليست بالذهب واللآلئ"

وأقدس ما في الانسان هو وجهه بما يحمله من دلالات الحروف، ومن يطالع شعر النسيمي يلاحظ تأكيده على وصف الوجه الانساني كلاً أو أجزاء، لأن البحث في هذه الأجزاء هو بحث في المعرفة، وعشقه لوجه الحبيب هو عشق للمعرفة:

"وجه الانسان أصبح الآن هو الحقيقة

فانحن لهذا الانسان الجدير بالمعرفة"

لايمكن أن نفصل في شعره بين ثلاثة أشياء هي: المحبوب والله والانسان، ثلاثة تندغم في كل واحد، وفي هذا الكل يتحد الجوهر بالصورة، والجسد بالروح، غير أنه يخص من الجسد الوجه فهو صورة الله، وهذا الوجه مشرق دائما، فهو قمرى منير، أو لؤلؤة المحيط، أو شمعة ترتمي أمامها الشمس فراشة ليلية، يستوى في عشقه المؤمن والعاصى، وبحركة مدهشة مباغتة يرتقي الشاعر في وصفه من الحسي الى المجرد، ومن الأرضي الى السماوي، ومن المادي إلى الروحى، مفاغماً بين الحدود بالوحدة. ان ما يجعل النسيمي مختلفا عن غيره من الصوفيين هو إيلاؤه المادة اهتماما معادلا للروح، بل انه يجعلها أساس العالم ومصدر الوحدة في الأشياء:

"بما أن المادة هي أساس هذا العالم

لهذا فإن الوحدة تكرر الأشياء"

وذلك ليخلص أيضاً الى تقديس الجسد الانساني ودرء الأذى عنه، فهو ليس كغيره من المذاهب الصوفية والشرقية الأخرى التي تجعل من العذاب الجسدى وسيلة للارتقاء الروحي:

"الشمس فراشة ليلية أمام شمعة وجهك

روحك قوقعة محيطية، وجهك اللؤلؤة

شفتاك الياقوتيتان شهد، وعيناك كأس

المسجد والحانة كلاهما لك عاشقان متيمّان"

لاشك أن النسيمي كان مؤمنا بعقيدة وحدة الوجود، وايمانه هذا دفعه الى البحث عن الجوهر الآلهي في الانسان، يقول اسلانوف في دراسته التي صدر بها الترجمة الانكليزية لأشعار النسيمي: "عندما قال النسيمي إن الانسان هو الآله لم يكن يجرد الانسان ويرفعه الى مرتبة الألوهية، وانما كان يضع الإلٰه في الانسان ويؤكد أصله المادي" يقول النسيمي: "ألست تقول ان الله موجود في كل مكان، فلماذا تفرق بين المسجد والحان"

"والذى لايرى الوحدة بين الكعبة والوثن

فمهما تقدم في العمر فإنه لن يكون مؤهلا للحكمة"

وبهذا الجزء الإلٰهي يصبح الانسان هو السلطة نفسها، فهو الملك والوزير، لايخضع لأية سلطة، وهو الطريق والغاية، وهو العاشق والمعشوق، وتتمايز أفعال الجمال عن أفعال القبح بموقفها من الانسان، لأن الايمان بالانسان ركن من أركان الايمان بالكلّي الجمال:

"عـزل الله عجينـة من المـــاء والتـراب
وصـــاغ منها الانسان مـــرآة للكـــون
وسمـــاه: سلطـانا، جمـــالا، وزيرا حبـــا
عاشقا، معشوقا، واندمج الحب في الوحدة"

ودعوة الشاعر الـى الانسـان الحـر تجعلـه يدعـو لا الـى تحريـره مـن مخاوفه الدنيوية فحسب وانما الى تحريره من مخاوف الآخرة أيضـاً، فالموت والصراط والميزان ليست مصـادر خـوف للانسـان بـل هـي مصادر فرح لأنها ستحرره نهائيا من شقائه وأحزانه:

"عنـدمـا تجتاز هذا الميزان الذى لابد أن تعبره
سوف تتحـرر نهائيـا من الشقـاء والأحـــزان"

ينطلق الوعي الجمالي فـي شـعر النسـيمي مـن رؤيـة تجليـات الجمال الكوني في الانسان وجميع ابتهالاته تنطلق مـن هـذه الرؤيـة، فالانسان هو جوهر الوجود وجماله، وايقـاظ وعـي الانسـان بجمالـه يعني تحريره الكامل، والشـاعر يتغنـي بجمـال الانسـان الـذى يحيـط بالعناصر الأربعة والجهات الست:

"سبح بحمد الذى يجمع الأرض بالنار والهواء، سـبح بحمـد الذى يؤكد شكله علـى المـاء" والمحبـوب ليـس مخصوصـا، ولكنـه الانسان عامة:

"حـب جمـال طـــاغ ملأقلـــبي
الحب رغم أني لم ألقها أبدا ملأ قلبي"

ويعتقد النسيمي أن الأمر الإلهي بتكوين الأكوان "كن فيكون" انما تم بالنطق الانساني:

"هذا الأمر الذى خلقت به الأشياء كلها كان له قوة النطق والصوت الانساني".

والانسان هو موضوع محبة الله، انه حب يهطل من علّيين، الله هو العاشق والانسان هو المعشوق:

"آه أيها الحبيب، انه يسكن في السموات العلى
من يتوق اليك ليله ونهاره"

وحين يتحدث الشاعر بالأنا فانها ليست الأنا الفردية وانما هي الأنا الانسانية، وتمجيده لهذه الأنا هو تمجيد للانسان الذى هو كلمة الله:

"تسربلت رحمة الرحيم، أنا الرحيم
الروح المطلق، كلمة الله، القرآن
انا من كشف سر التلال المحترقة
أنا ابراهيم النار الموقدة، أنا موسى وعمران
أنا المسيح والاسكندر وماء الحياة[٣]
أنا الأزلية وينبوع الحياة
اعرف ربك، سبح لله، يا نسيمي فأنت ابن الانسان
وأنا من تلقى من الله اسم الانسان"

في زمن القهر حيث تحكم القوى الغشمية على الكلمة بالموت صبرا، ولأن الكلمة هي الانسان ينهض النسيمي ابن الانسان ليعلي

شأن الكلمة ويمجدها ويخصها بواحدة من أجمل قصائده، جاعلا جوهر الأشياء وحقيقة الوجود وما لاينفذ هو الكلمة:

"تعالوا تفكروا في هذه الكلمة، اليست الروح الكلمة
السموات العلىٰ فيض الكلمة
قال النبي صلى الله عليه وسلم: القلب عرش الرحمة
لأنه رأى القلب يلهج بالكلمة
العقل الكوني، اللوح، القلم
العناصر الأربعة والسماء.. هم الكلمة
برهان علّتنا ومبتدؤنا
نور الوجود.. هو الكلمة
كن عاقلا، واعقل لسانك الرجراج
يا نسيمي، لأن مالا ينفذ.. هو الكلمة"

كان النسيمي شاعرا كونيا، مجد الانسان في زمن القهر، وخط له في شعره سطور تحرره، انتهل من غوامض الحروفية ورموزها وأنساقها الاشارية ما يؤيد دعوته إلى رفع شأن الكلمة ـــ الانسان، وهنا تكمن أسباب المأساة التي انتهى اليها، ولكن مأساته هي جزء من مشاهد مأساوية، ومجازر بشبرية شهدتها عيناه، فجعلته يحث الخطى نحو الحقيقة:

"ابتعد قلبي عن عالم الرجال
واستيقظ من حلم سعيد على نور النهار
كل تلك الآلام سببتها المشاهد المأساوية
وبإيمانه بالحق يحث الخطى نحو الحقيقة"

لم يؤثر عن النسيمي أنه مدح ملكا ولا وزيرا ولا أميرا، وإنما مدح الانسان وحده، ودعا الى رفع العبودية عنه، وبدأ بنفسه اذ يقول:

"إنني لم أشارك في استعباد الانسان، والله يعلم أنني أقول الحقيقة"

المعرفة، الحب، النضال من أجل الحق، ايثار الخير للانسانية، ذلك ما دعى اليه النسيمي من أجل بعث الانسان الحر، الكامل، واللائق بأن يكون خليفة الله، ويحتل مرتبة الكائن الأعلى:

"اذا كنت سهران فدع عينيك تشعان بالمعرفة

واذا كنت رزينا فعليك أن ترشف خمرة الحب

واذا كنت باحثا عن الحقيقة فعليك أن تتخلى عن الحياة السهلة

واذا حكمت الآخرين فعليك أن تتخلى عن أنانيتك"

نصوص مختارة من شعر النسيمي(٤)

"حالي العطر"

عندما رأيت وجهك قلت : سبحوا لله

عندما رأيت قوامك قلت: لا اله الا الله

ثم رأيت ضفائرك تنضح حالي العطر

مقنطران كالقوس حاجباك، حفظهما الله

عندما رأيت السرق في عينيك السارقتين

قلت للمرة الثانية : حفظهما الله

انه لنبع شاف رحيق شفتيك

لأنهما نهلا بعمق من نعمة الله

عن وجهك لا أستطيع أبدا أن أحوّل عينيّ

اذا كنت في شك من قولي فاني سأقسم على ذلك بالله

غمـــر قلبـــي سحـــر جمـــالك

أفعـــال كلّي القـــدرة هـــي ارادة الله

حكم الأحـرف الاثنين والثلاثين كلها

تتحـد بـــك، أقســـم باللـــــه

ذات يوم أقسم النسيمي قسمـــا جليلا

وسيفـــى بـــه، فـــانـــه عهـــد للـــــه

* * *

"مشرب وجنتيك"

من شفتيك ياحبيبي تندح أمواه الحيـــاة

أسأل النبي الخضر، وستعرف ماتكون الحياة

آه كم هي حلوة وناعمة نكهة شفتيك

شفتاك مشرقتان كما المرجان مع الياقوت المتوهج

وعلى وجهك تكشف الحقيقة اليوم الموعود

كل دلالات الحـروف تبرهـن علـى ذلك

مـــن يبـــاعـد بين نفســـك والحقيقـــــة

فهـــــو جهـــول لا يعـــرف شيئـــــا

النور المشع علـى مشـــرب وجنتيـــك

يشـــرق ثـــانيـــة كقمـــر متـــوهّـــج

مـــن لا يجـــــل جمـــــالـــــك

فـــان اللـــه يصمـــه باســـم الشيطـــان

هذا يوم عيدك العظيم يا نسيمي، تعال

قـدم حياتـك قـربانا، هبهـــا بلا تـردد

* * *

"تلك هي الحقيقة"

البصيرون من الرجال دعوا شفتيك بالروح الصافية، وتلك هي الحقيقة

وشبهوا فمك بالفكرة المستترة ، وتلك هي الحقيقة

سألت عشاقك عن وجهك وشفتيك الياقوتيتين

فقروا انها الخضر وماء الحياة، وتلك هي الحقيقة

الرجال الذين ينحنون تعظيما لوجه آدم والبشرية

قالـوا : انت العـرش وصـورة الرحمـة الالهيـــة

صرح المترددون : ان شكلك هـو النيلوفر اللطيف، لكن

الناس حسبوا ذلك افتراء، هكذا أخبروني، وتلك هي الحقيقة

العلماء والمؤمنون شهـدوا أن مـــن

سينكـــر جمـالك شيطـــان أو شـــرير

أولئك الذين سكنوا السماء قالـوا: ان حديقة ورد وجهك

هي السماء وجنة الخلد، وتلك هي الحقيقـة

أولئك الذين تلقوا من الله أسرار ماسطر القلم

قالوا: ان ملامح وجهك الذكية هي الحبق الحلو، وتلك هي الحقيقة

الرجال العالمون صرحوا : أن وجهك وكل ما قد كتب فيه

هو القرآن ، واللوح المحفوظ، وتلك هي الحقيقة

يا نسيمي ، الرجال البصيرون يقولون: ان المكان الذى تكون فيه مقيما

هو الكنز الكلي الوجود بين الأطلال، وتلك هي الحقيقة

* * *

"مـرثيّـة"

ياحبيبي، الآن وقد رحلت، فما حاجتي الى الروح في الجسد

ومـا حاجتي الى الغنى والشجـاعة، الى العرش وتـاج المجد

يا فضل الله كنت أشفى من آلامي عندمـا أحظي بحضورك

وأنـا حزين لفقـدك الآن، فمـا حاجتي الـى الشفـاء

أيهـا المسلـم، اعلـم أن الدنيـا ممتعة بوجود محبوبـك

أمـا أنـا فقد فـارقت حبيبي فمـا حاجتى الـى الـدنيـا

أقـول: عند بوابـات الخـالق السمـاوى دعوت الله كثيرا

فاذا كان ما دعوته لن يتحقق فمـا حـاجتي الـى الدعوات

حبيبك مـات، يا نسيمي، كن صـابرا، لاتجهش بالبـكاء

فـاذا تحملت آلامي اليـوم فمـا حاجتي الـى النـواح

* * *

"شـهوة الـريح"

كئيب، هـذا العـالم كئيب، لا أرغب في الحيـاة

لـذا سـأهجر العـالـم، وأنطلـق بعيـدا

اذا كنت ترغب فـي أن تتحـد بمعشوقـك

فعلـيـك أن ترفض العـالميـن بـلا تـردد

ليس من الصعب عليك أن تخسر الدنيا أو تربحها

فانج بنفسك من الخسارة، ولا تطع شهوة الريح

اذا لـم تكـن شيطانـا فاعرف وادرس الانسـان

تـكل عن جـوهـر آدم، الأصيـل ، الحـاكم

الافتـراض لايقـود الانسـان الـى الحقيقة

ولا الشـك المبكـر يوصـل الـى الايمـــــان

فـي هـذا العـالم لاوردة بـــلا شـــــــوك

لـــذا فـانبذ الـوردة، وارم بالســـروة بعيدا

تلك التـي فمهـا حلو، وشفتاهـا الروح الصافية

ألا تعرفها وأنت الذى لاتحرص على سبيل آخر

انها تكشف عن وجهها، احترس، يا الهي، لأن

جمـالا كهـذا سيوقظ يـوم الحســـــاب

بجـلال اقسـم أنـي أقـول "لا" لـكل مـــن

ينقـذنـي ممـن ضفـائرهـــا ملعب العطور

تلك التي تتوق اليها، يا نسيمي، هذه الـ "لمـاذا"

انه ينبذ العـالمين ويسلك طـــريق عينيهـــا

* * *

"كـوني معشـوقتي"

كـوني معشوقـتي، فروحـي لاتصبو الـى غيـرك

انـت عشيقـة روحـي، فهـي لا تصبـو الـى غيـرك

حديقـة ورد وجهـك هـي جنـة عدن في الفـردوس

من يعرف هذه الحقيقة فانه لن يرغب أبداً بحديقة أخرى

أنت مـرام روحـي، ومـن أجـل ذلك أنـا اصلي لله

انـــا محتاج اليـك وحدك، وروحي لا تصبو الى غيرك

لا تسألنـي، يـا حبيبي، مـا الذى ستكـونه بالنسبة لي

لأن العـــاشـق لا يـرغب بشيئ غيـر حبـــه

تعالي، جوهـر الـروح والعـالم، ان لـم تكوني هنـاك

فـان قلبـي سينبذ العـــالمين ولن يرغب بشيئ غيرك

منذ أن قـال منصـور "أنـا الحـق" وسعى الى حتفه

فان من لم يكن منصورا في قوله "أنا الحق" لن يعرف الرغبة أبدا

اريـد أن اعلـن لكـل العـالم سـر حبـــــي

أمـا عذولـي الجـزوع فهـذا الاعـلان لا يرغب فيه

اريد أن أرى وجهك المسفر الآن والى الأبد، ولكن

عذولى أعمى العينين، وكشف الحجاب ليست رغبته

النسيمي رام من الله القـرب، وقـد لبي الله مـرامه

لقد حصل الآن على الثراء السرمدى، فهو لا يصبو الى الذهب

* * *

"لاتستر وجهك عني"

أيها الصوفي الجالس في خلوتك ، اطلـب مـن الندمـاء كـأس خمرة، ولا تضع أيامك، واغتنم الفرصـة، لا أمان للدهر، فعاملـه بمـا يستحق.

لقـد أصبـح اسـمى بيـن النـاس اليـوم : الصـائم، والمتّقـي، .. ولكن غدا في يوم المحشـر كيف أتخلّص من هذا العار.

*

أيها المحبوب، ان نقطة خـالك عندمـا وقـع بصـرى عليهـا، صـادتني بشبكة عذاريك.

لقد غسلت يديّ من الخمرة والجام والقدح، ولكن شفتيك تشـدّانني الى كأسيهما.

لاتستر وجهك عنّي، أنا الذى احترقت ـ بحبّك ـ مئة مرة، كالشمع، وتكفيني شعلة من شوق وجهك حتى أقصدها كالفراشة (لأحترق بها).

ظهر روح القدس من الحانات، والمشتاق الى التّجلى جاء ، وبدت للعيان شمس اليقين من أفق الغيب.

وظهرت أنوار الحق من مطلع الذرّات، وانتشرت راية السلطان المنصور.

الحق أنا، ظهرت من السماوات والأرض.

ذلك النور الذى كان الملك قد سجد له ثم اختفى، ظهر مرات عديدة من مظهر الأبرار.

* * *

"نحن العشـــاق"

نحن نفس المسيح ومريم ونحن حروف الاسم الأعظم
ونحن طلسم الكنز المخفيّ نحن حقيقة الروح حقّا
نحن الكليم وطور سيناء نحن الرائي والمرئيّ
نحن نوح وسفينة النجاة نحن ماء الحياة للكائنات
نحن الكتاب واللوح والقلم نحن بيان العرش والكتاب
نحن الشراب والجام والساقي نحن أساس الملك الباقي

نحن ذلك المعشوق الذى يختطف القلوب
ونحن أيضا العشّاق الذين سلب المعشوق قلوبهم

*

أنا الكنز الذى في باطنه آلاف كنوز الذهب

انا ذلك البحر الذى في باطنه جواهر البحار

انا ذلك المعشوق الخفيّ الذى شغف بجمالِ نفسه

"أنا الحق" : اذا ظهرت مني ـ أنا العاشق ـــ في يوم من الأيام فسيحرقني العارف (منكرا عليّ ذلك).

أيها الصّولحيّ، لاتتظاهر أمامي بعصاك وخرقتك، فأنا أعلم لمن تسبّح، وأعلم ما هو الزّنار الذى وسطك.

هـوامـش

١- جاء ابلكوتيان محارباً مع هولاكوخان ومساعده في كثير من أعماله، وقد أعقب عشرة أولاد منهم "آق بوقا" الذى نشر التعامل بالورق النقدي، وأعقب ولداً هو حسين الملقب بكوركان وقد كان أحد الوجوه السياسيه الهامة في عهد أبي سعيد وأعقب كوركان ولداً هو حسن بزرك مؤسس دولة الجلابريين.

٢- هذا ما فعله تيمورلنك فى المدن التى اكتسحتها قواته كاصفهان وحلب و دمشق.

٣- الأسكندر هو الملك الحميري الصعب بن الحارث فاتح المشرق والمغرب وبانى سد الصين المذكور فى القرآن الكريم.

٤- ترجم النصوص عن الانكليزية: عبد الفتاح قلعه جي وأديب بلو، وعن الفارسية: د. محمد حموية.

مصـــــادر

كنوز الذهب في تاريخ حلب : موفق الدين أبوذر.

المواقيت والجواهر : عبدالوهاب الشعراني.

الفكر الشيعي والنزعات الصوفية: كامل مصطفى الشبيبي.

الشبك : أحمد حامد الصراف.

كشف الظنون : الحاج خليفة.

سلاسل القوم : أبو الهدى الصيادى.

نهر الذهب بتاريخ حلب : ج ٢ كامل الغزى.

اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : ج ٣ راغب الطباخ.

في الأدب الفارسي : محمد غنيمي هلال.

الآثار التاريخية والاسلامية في حلب : محمد أسعد طلس.

قاموس الأعلام : ج ٤ الزركلي.

الموسوعة الميسرة.

الموسوعة البريطانية: ج ٧.

مجلة الضاد : ع شباط ١٩٨٤.

الموقف الأدبي : ع ٤، ٥ آب /ايلول ١٩٧٣.

در الحبب في تاريخ حلب: ابن الحنبلي.

شذرات الذهب: ج ٧ ابن العماد.

القاموس الاسلامي : ج ٢.

رياض العارفين.

تاريخ العراق بين احتلالين.

عماد الدين نسيمي أثرلرى : **منشورات باكو** ١٩٧٣.

نسيمي ديوان : تقديم وتحقيق حميد محمد زادة : منشورات أزربيجان.

Imadeddin Nasimi poems: Translated by Peter Tempest. progress publisher. Moscow. 1973.